أثر الطبيعة في تشكل هوية المجتمع الموريتاني خلال العصر الحديث.
(مظاهر التباين والتطابق)

أحمد محمد محمد الحاج
طالب دكتوراه: مكونة التاريخ
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

الملخص:

يشـتد الحماس في موريتانيا دائما كلما تمت إثارة الانتماءات القبلية أو العرقية فيرتهن كل امرئ بما كســـب من روايات ورثها عن ســـلفه ويقدمها على كل رواية عداها مهما كانت دامغة وموثقة.. ويتغافل الكل عن أن تشكل الهوية الموريتانية خضع لظروف قاسية تحكمت الطبيعة في جزء كبير منها وكسـتها ثوبا معقدا مازال البعض لم يتطرق لعقدته، فالهوية الموريتانية مهما توحدت أسـسـها الثقافية والعقدية فإن ســـرا غامضـــا لا يزال يحتاج التفســـير لبعض مظاهرها وهو لماذا نجد تباينا واضـــحا في طباع الناس تبعا لاختلاف المناطق الجغرافية داخل البلاد علما أن الثقافة والدين يوحدانها؟. وهذا ما تسـعى هذه المحاولة إلى تسـليط الضـوء عليه وتبيين بعض أسـبابه بالعودة إلى الطبيعة لمعرفة مدى حضورها بين هذه الأسباب.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة. تشكل الهوية ،المجتمع الموريتاني . العصر الحديث . التباين والتطابق.

مقدمة

تقتصـر النظرة العامية للهوية على أسـاس أنها عامل جيني جامد يتشـكل في الأزل وغير قابل لأي تغيير، وأن الإنســان كائن جبل كما يظهر خارج الطبيعة والتأثير البشـري بمعنى أن تشـكل هويته ميتافيزيقي طبعا وســـلوكا ومزاجا، وعلى نقيض هذا الاعتقاد ظهر اعتقاد الحتميين الذي جعل من الإنسان مجرد تعبيرعن الطبيعة، تخرجه على أساس صنفها، فتُباين طباع أفراده وأمزجتهموسلوكهم متى تباينت خصائصها وتطابق تلك الخصال فيهم متى اشتركت خصائصها. وقد ظهرت مدرسة الحتمية البيئية ابتداء من عصر النهضة الأوروبية مع **مونتسكيو Montesquieu** في كتاب «**روح القوانينأو روح التشـــريعات**» وتعززت في القرن التاســـع عشـــر مع نظرية **داروين Darwin** في كتابيه«**أصـــل النوع 1859**» و«**وتطور الإنســـان 1879**»، كما ظهر بعد ذلك **فريديريك راتزل Friedrich Ratzel** صاحب اختراع علم «**الجغرافيا السياسية وجغرافية الإنسان**».

ولئن كانت الحتمية البيئية، كمدرسـة لها منهج متقارب في الطرح، قد تأخرت إلى عصـر النهضـة الأوروبية للتطور ابتداء من القرن التاسـع عشـر ،إلا أن نظرية تأثير الطبيعة على الإنسـان ارتبطت

بتطور الفكر البشـــري منذ عصـــور ما قبل الميلاد، مع **هيبوقراط Hippocrate في كتابه «الجو والماء والأقاليم»** و**أرســـطو Aristotle في كتاب«الســـياســـة» واســـترابو Strabo**، ثم مع الحقبة الوســيطة **لدى المســـعودي في كتاب «مروج الذهب» وابن خلدونفي العبر**؛ ثم ظهرت مدرســتي: **الاختيارية والإمكانية أو الجغرافية** اللتان كان من أبرز روادهما **دور كايم Durkheim** و**فيدال دي لا بلاش Vidal de La Blach** وانتقدتا الحتمية البيئية على سـحقها لدور الإنسـان من رسـم ملامح هويته وإعلانهما النزعة الإنســـانية قبل أن تأتي المدرســـة **التوافقية** أو **الاحتمالية** لتوفق بين هذين الاتجاهين، برفعها الإيجابية المطلقة و السلبية المطلقة عن الطبيعة وعن الإنسان واعتبار كل منهما لـه دور في الوقت والمكان اللذين يكون فيهما إيجابيا، ولا دور لـه في الوقت والمكان اللذين يكون فيهما سلبيا.

وإذا كان القطر الموريتاني مشـمولا في هذه النظريات العامة من حيث كون موقعه الجغرافي يدخله الطبيعة وعنصـره البشـري يدخله الإنسـانية، وهما مثار الجدل، فإن خصـائصـه الطبيعية وأثرها في تشكل هوية مجتمعه قليلة هي الدراسات التي اهتمت بها، والكثير مما يمكن تصنيفه ضمن دراسات تشــكل الهوية في البلاد يدور حول حلقة الانتماءات الســلالية أو العشــائرية.ولا نعني بهذا أن دور الطبيعة في تشكل الهوية الموريتانية غاب من الدراسات كليا، فقد اعتمده الدكتور عبد الودود (ددود) ولد عبد الله كمحدد من محددات هذا التشكل في دراسة بعنوان« **ديناميكية تشكل الهوية في فضاء بلاد شنقيط ـ أزواد»** وذكر في هذه الدراسة بعض من سبقوهلتناوله كمساهم ضمن عوامل أخرى في تشـكل هويات الصـحراء والسـاحل؛ إنما نعني به أن دراسـة تخص دور الطبيعة في تشـكل الهوية الموريتانية لم نطلع عليها إلا من باب تأكيد مقومات البقاء من عدمها.

ويبدو أنـه، نتيجـة لهيمنـة الاعتقاد القائل بـأن الهويـة جبلـة ميتـافيزيقيـة على الـذهنيـة المجتمعيـة، استعصى على الباحثين الموريتانيين ولوج العامل الطبيعي كأساس من أسس تشكل الهوية مما أدى إلى غياب حضوره في الدراسات التي اهتمت بهذا التشكل. لذا نرى أنه أصبح من اللازم تجاوز هذا الاعتقاد من أجل الوصـول إلى تفسيرات علمية ترقى عن الارتماء في حضـن الميثولوجيا، وذلك ما نسعى بهذه المحاولة إلى المساهمة فيه رغم الاعتراف بجسامة العائق المذكور.

ولأن الطبيعة ليسـت في سـكون تام وتعامل الإنسـان معها ليس ثابتا على نسـق واحد، فإن دراسـة دورها في تشــكل هوية هذا الإنســان تقتضــي تحديد الزمن؛ وانطلاقا من هذا المبدأ ســنراعي في علاجنا للموضـوع الظرف الزمني المحدد للدراسـة وسيشـمله عنوانها المركب كما يلي: «**أثر الطبيعة في تشكل هوية المجتمع الموريتاني خلال العصر الحديث (مظاهر التباين والتطابق)**»

إشكالية البحث: تعالج الدراسة إشكالية الهوية الموريتانية ودور الطبيعة في تشكلها خلال العصر الحديث.

فرضية البحث: تتصور الدراسة أن الطبيعة لعبت دورا كبيرا في تشكل الهوية الموريتانية، كيف تم ذلك وما هي مظاهر إبرازه؟ هذا ما تسعى إلى نقاشه.

منهج البحث: تعتمد الدراسة المنهج التاريخي لأنها تعالج تشكل الهوية ضمن سياق تاريخي.

تمهيد:

من المعلوم أن الطبيعة تتحكم في حياة الناس تحكما كبيرا بحيث يتوقف عليها معاشهم واستقرارهم وتوزيعهم الجغرافي وأمنهم أحيانا، وحتى أن العقوبات الإلهية التي حلت بالأقوام البائدة مثل قوم نوح وعاد وثمود وردت إلينا في القصص القرآني ضمن أحداث طبيعية مائية أو مناخية: ﴿**وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم**﴾«الفرقان الآية 37». ﴿**وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون**﴾ « سورة الذاريات: الآيات ت من 41 إلى 44».

وقد اهتم البحث العلمي بدراسة العلاقة بين الإنسان والطبيعة منذ عهود قديمة، فتناولها اليونانيون القدماء والرومان وتناولها المسلمون، وشكلت الاهتمام الأكبر للدراسات الحديثة، كما ذكرنا في المقدمة. وسنتعرض في هذا العنصر التمهيدي لبعض**آراء** الدارسين لتلك العلاقة من خلال نموذجين هما: **أرسطو** و**ابن خلدون** وذلك لحضور التفسير الطبيعي في جل القضايا التي تناولاها بالدراسة.

فقد اعتبر أرسطو أن كل إرادة للإنسان وغيره من الحيوانات تعود إلى نزعة طبيعية، تماما كما في النباتات " ففي الإنسان وكما في الحيوانات الأخرى وفي النباتات نزعة طبيعية إلى أن يخلف بعدهموجودا على صورته[1]يؤكد أرسطوعلى الحتمية الطبيعية في تمييز طبائع الناس واختلافها بين إمكانية السيادة والتبعية(العبودية) بقوله" إنما الطبيعة وهي ترمي إلى البقاء هي التي خلقت بعض الكائنات للإمرة وبعضها للطاعة، إنما هي التي أرادت أن الكائن الموصوف بالعقل والتبصر يأمر بوصفه سيدا، كما أن الطبيعة هي أيضا التي أرادت أن الكائن الكفء بخصائصه الجثمانية لتنفيذ الأوامر يطيع بوصفه عبدا"[2]وهكذا أوشك أرسطو على جعل العامل الطبيعي هو المسؤول عن تشكل هويات الشعوب ذلك أن الطبيعة هي المحدد الأول لما يستقر عليه حال الأفراد من قيادة وانقياد،

---

[1] - آرسطو: **السياسة مع مقدمة في علم السياسة من الثورة الفرنسية حتى العصر الحاضر للبروفسور بارتلمي سانتهيلير**، ترجمة أحمد لطفي منشورات الجمل، 2009،ص 97.

[2] . نفس المصدر، ونفس الصفحة.

من حرية وعبودية؛ واعتبر أن في كل منطقة مناخية منطقة ســـلوكية، وبذلك أكد على الحتمية البيئية.

أما ابن خلدون فقد قسم العالم إلى أقاليم طبيعية ووزع طباع كل الأقوام البشرية على أساس توزيعها الجغرافي داخل النطاقات المناخية الكبرى حيث اعتبر أنه لما كان "أهل السودان[1]ساكنين في الإقليم الحار واســـتولى على أمزجتهم وفي أصـــل تكوينهم كان في أرواحهم من الحرارة على نســـبة أبدانهم(...) فتكون أســـرع فرحا وأكثر نشـــاطا ويجيء الطيش على أثر هذه، وكذلك يلحق بهم أهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضـــاعف الحرارة (...) كانت حصـــتهم من توابع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة"[2]. وأجرى بن خلدون مقابلة بين أهل مصر وأهل فاس بين فيه أن طباع أهل مصـــر مشـــابهة لطباع ســـكان الجزر يغلب عليهم الفرح والغفلة عن العواقب، عكس طباع أهل فاس االمطرقين" إطراق الحزن" والمفرطين " في نظرة العواقب"[3]

ولا يشذ سكان موريتانيا ولا حتى عموم سكان الصحراء والساحل عن قاعدة تأثير الطبيعة على حياة الإنســـان، بل إنها مثلت أحد أهم عوامل تشـــكل هويتهم على مر التاريخ وخلال العصـــر الحديث تحديدا، حيث عمل المناخ والموارد المائية والتضـــاريس على طردهم أولا من مناطق إقليمية ودولية كانوا يقيمون بها ثم توزيعهم داخل المجال الذي أصبح موطنهم أخيرا، وبالتالي تشكل هويتهم تناسبا مع تأثير هذه العناصر الطبيعية، ملائمة أو تكيفا.

وصنف ابن خلدون أرض الصحراء والساحل، التي أخذنا القطر الموريتاني كنموذج لتشكل الهوية فيها، ضمن الأراضي الجافة وسماها بالأرض"الحرة الترب التي لا تنبت زرعا ولا عشبا"، حيث قال إن سكان هذه الأراضي " في شظف من العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل الملثمين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين بلاد البربر والسودان".

---

[1] . أطلق اسم السودان من لدن الرحالة العرب على المجموعات السمراء القاطنة في منطقة غرب إفريقيا المتاخمة للصحراء من الجنوب، وربما وسع بعضهم نطاقه حتى شمل جنوب غرب القارة الذي يقع تحت التأثير المباشر للمناخ الاستوائي المعروف داخل العروض المناخية بأنه الأكثر ارتفاعا في درجات الحرارة.

[2] . عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ب. ت. ن، ص 48.

[3] . نفس المصدر، ص48

ونبه ابن خلدون إلى أن فقدان سكان الصحراء والساحل لمقومات الحياة من زراعة وأعشاب جعلهم يتفوقون "في جسومهم وأخلاقهم"على" أهل التلول المنغمسين في العيش: فألوانهم أصفى، وأبدانهم أنقى وأشكالهم أتم وأحسن، وأخلاقهم أبعد من الانحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات"[1].

إن هذا الإجماع شبه العام على حتمية تأثير الطبيعة في تشكل هويات الشعوب يجعلنا، اعتبارا له، نبحث في طبيعة بيئة القطر الموريتاني كنموذج للبيئة الصحراوية ـــ الساحلية لنعرف مدى تأثيرها على تشكل هوية السكان هنا ابتداء من العصر الحديث.وإذا أخذنا فرضية بن خلدون حول طبائع أهل الصحراء والساحل المتعلقة بحدة الذكاء وأثر الطبيعة فيها وحاولنا إسقاطها على حالة سكان القطر الموريتاني خلال العصر الحديث، أمكننانذلك بالعودة إلى ما شهدته المنطقة خلال هذا العصر من ازدهار والمعارف ربما فاق الكثير من الأماكن التي سبقته بوقت معتبر لاستقبالها.

ونحن هنا إذ نحاول تسليط الضوء على أثر الطبيعة في تشكل هوية المجتمع الموريتاني، يلزمنا تناول أهم عناصر الطبيعة لمعرفة تأثير كل منها على حدة خاصة المناخ والتضاريس، وذلك من خلال محورين يتناول أحدهما دور المناخ والثاني أثر التضاريس في تشكل الهوية الموريتانية.

المحور الأول المناخ ودوره في تشكل الهوية الموريتانية خلال العصر الحديث.

إن طبيعة المناخ لأي بلد تقاس انطلاقا من تشخيص العوامل المؤثرة في هذا المناخ كالوضعية الفلكية والوضعية الجغرافية من تضاريس ومياه وغطاء نباتي... وبناء عليه يكون التطرق للعوامل المؤثرة في المناخ الموريتاني من لوازم عملنا لمعرفة مدى انعكاس ذلك على رسم ملامح هوية سكان المجال، عبر تشخيص وضعيته الفلك والتضاريس هنا.

تقع موريتانيا فلكيا ضمن النطاق البيمداري بين دائرتي عرض 15° و27° شمال خط الاستواء ويفسر هذا الموقع ارتفاع درجات الحرارة خاصة في جزئه الشمالي الواقع ضمن مسار مدار السرطان، كما تتميز التضاريس عموما بالانخفاض مما قلل من أهميتها في تلطيف الحرارة.وخلال أزمنة قديمة تعرض الجزء الأكبر من البلاد لظاهرة التصحر التي اجتاحت شمالها لتضيف إلى عامل ارتفاع درجات الحرارة عامل جفاف الحركة الهوائية بسبب ندرة النبات وغياب الماء عن سطح الأرض، وأصبح المناخ هنا حارا وجافا، وبالتالي أصبح عامل طرد للسكان من الشمال نحو الجنوب كل حسب ما يقابله؛ يذكر عبد الودود ولد عبد الله أن خلافا حصل بين بعض الباحثين حول تحقيب التغير المناخي في المنطقة خلال عصر الدراسة، بين من يجعله هذه المنطقةخلال الفترة الممتدة من نهاية ق 15م والنهاية ق 18م" قد عرفت فترة رطبة(...) ثم تلتها حقبة جافة لا

[1] . ابن خلدون: مصدر سبق ذكره، ص 48.

تزال قائمة حتى اليوم"، ومن يجعل الحقبة الممتدة من1100مإلى 1860م شـــهدت " فترتين من الجفاف تخللتهما فترة من الرطوبة (من 1500 إلى 1630)"[1].وذكر أن تلاقي منظومتين من الرياح إحداهما تتحرك في النطاق الصـــحراوي الحار والجاف والأخرى تهب " من الجنوب محملة برطوبة المحيط الأطلسي الجنوبي" أدى إلى "نشوء ما يسميه الجغرافيون "منطقة عدم الاستقرار المداري أو الجبهة المدارية"[2]

وهذا ما يتناسب مع التوزيع التقليدي لموريتانيا إلى إقليمين مناخيين رئيسيينهما: المناخ الصحراوي الذي يهيمن على ثلثي مساحة البلاد الموريتانية ويمتد مجاله "من أقصى شمال البلاد إلى خط العرض السابع عشر جنوبا...."[3]، ولا تتجاوز أمطاره سنويا 150 مم في حده الجنوبي، وإقليم المناخ الساحلي الذي "يمثل ما يناهز 17% من إجمالي مساحة البلاد"[4]والمتميز بارتفاع نسبة الأمطار مقارنة بسابقه إذ تتراوح سنويا ما بين 150 مم شمالا و500مم في حده الجنوبي.

وتتفق الدراسات المناخية على أن أقصى جنوب البلاد كان يتأثر بالمناخ السوداني الذي يصل الحد الأدنى لمتوسط الأمطار السنوي فيه حدود 500مم قبل أنيتراجع نحو الجنوب خارج حدود البلاد منذ جفاف سبعينيات القرن العشرين، فاسحا المجال أمام المناخ الساحلي كي تتسع رقعة تأثيره لتغطي عموم المنطقة الواقعة بين خطي المطر 150مم شمالا و500مم[5]جنوبا.

ويبدو أن الهوية الموريتانية تأثر تشـكلها بما عرفته الوضـعية المناخية من تحولات خلال العصـر الحديث وعلى أساس التوزيع الإقليمي للمناخ حيث تطابقت في خصائص وتباينت في أخرى ويمكن تقسيم حالات هذا التأثير على تشكل هوية سكان موريتانيا إلى حالتين إحداهما تتعلق بطباع وبنيات السكان الجسمانية، أما الثانية فتنعكس على حالة استيطانهم (ثنائية الاستقرار والرحيل).

1 . أثر المناخ في طبع وجسم الإنسان الموريتاني:

يقال إن الإنسان " ابن بيئته" ويؤول الناس هذا المعنى كل حسب اختصاصه فيعني به أهل التربية أن سلوك الطفل هو نتاج لسلوكيات وسطه الاجتماعي، ويعني به أهل علم الاجتماع متانة العلاقة بين الســلوك الفردي والســلوك الجماعي، أما أهل الطبيعة فيعنون به أن الطبع البشــري وحي من

---

[1]. عبد الودود (ددود) ولد عبد الله: **ديناميكية تشكل الهوية في فضاء بلاد شنقيط. أزواد**، مجلة مصادر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة انواكشوط، العدد 2016،6 . 2017، ص2 و3.

[2] . ددود مرجع سبق ذكره، ص 2.

[3] . محمد المحجوب ولد بيه: **موريتانيا جذور وجسور**، مكتبة القرنين21/15 للنشر والتوزيع،2016، ص31.

[4] . نفس المرجع، ص32.

[5] . إسلم محمد الهادي: **موريتانيا عبر العصور**، ب. م.ن، ب، م، ن، ص25.

الطبيعة كما رأينا عند أرسطو وابن خلدون وعند اتجاه الحتمية البيئية. وعلى هذا الأساس فسروا اختلاف طباع البشرية وبنياتها الجسمانية على ضوء اختلاف بيئاتها المناخية.

ويمكن، انطلاقا من حتمية أن الطبع البشري وحي طبيعي، أن نفهملما ذا يظهر التباين في طباع المجتمع الموريتاني بناء على تقسيم البلاد إلى أقاليم مناخية، فالإنسان في الشمال الموريتاني هو إنسان صحراوي انطبع، بالبيئة الصحراوية القاسية التي تفرض على ساكنها أخذ الحيطة والحذر من كل شيء، لذلك هو أكثر حدة في الذكاء وفي الطبع، وأكثر عرضة لانعكاسات أشعة الشمس الحارقة بسبب تعري سطح الأرض من الغلاف النباتي الناجمة عن نقص التساقطات المطرية وهو ما ينعكس على بنيته فيجعلها تتميز بالنحافة غير أنه مع هذه النحافة أقل عرضة للمخاطر الصحية التي يتسبب فيها ارتفاع نسبة الرطوبة وما يصاحب ذلك من تعفن.

أما الإنسان في الجنوب الموريتاني فيبدو أنه تأثر بالمناخ السوداني الذي ذكر ابن خلدون أنه "استولى على أمزجة وأصل تكوين سكانه" والذي يتقاسم جانب القساوة المتعلق بارتفاع درجات الحرارة مع البيئة الصحراوية لكنه يتميز عنها بتحسن في مستوى الرطوبة والدفء، لذلك كان إنسان هذا الجزء من موريتانيا أقل حدة في الذكاء وهو أكثر تعرضا لمخاطر التلوث البيئي الناجمة عن ارتفاع منسوب التعفن مما يساعد على انتشار الأوبئة التي تنتقل عن طريق البعوض وبالتالي تطبع جسم الإنسان هنا بالهشاشة وتفكيره بالخمول اعتبار لنظرية بن خلدون السابقة؛ وهناك إنسان الوسط الموريتاني الذي وفق بين طبعي الإنسان الجنوبي والشمالي نتيجة موقعه المناخي الفاصل بين بيئتين إحداهما جافة والأخرى أقل جفافا، وتوطن هذا الإنسان في نطاق يمتد غربا من شرقي البراكنة ما بين جنوب تكانت وشمال لعصابة إلى تخوم أزواد شرقا عبر وسط الحوضين حاليا.

وقد قسمالمختار بن حامد المناخ في موريتانيا إلى إقليمين جنوبي وشمالي فسمى الجنوبي (الكبلة)[1]وسمى الشمالي (التل)[2] وبين انعكاس ذلك على بشرة السكان وأبدانهم وأعمارهم" فاعتبر أن هواء التل (الشمال) صحي نقي حره شديد وبرده كذلك وهواء الكبلة (الجنوب) كثير الندى عفن مضر بالصحة مغير للون (...) والقبائل التي تسكنه ولا تتحول إلى التل تكون دائما أقل أعدادا وأضعف أجساد وأقصر آمادا من تلك التي تسكن التل أو تتحول إليه[3].

---

[1] . الكبلة تحديد جهة الجنوب بالنسبة لسكان الجنوب الغربي الموريتاني، الذي يسميه سكان الشرق ب (الشرك) والكبلة عند سكان الشرق والشمال الموريتاني تعني الغرب.

[2] . التل عند أهل الجنوب الغربي الموريتاني تعني الشمال وعند أهل الشرق والشمال تعني الشرق.

[3] . المختار بن حامد: **حياة موريتانيا الجغرافيا**، معهد الدراسات الإفريقية، دار الغرب الإسلامي . الرباط 1994، ص 11.

وقد يتســـاءل القارئ لماذا الأعداد الســـكانية اليوم تتركز فقط في هذا الجانب من البلاد والواجهة البحرية أي الجنوب والغرب، وبالعودة إلى ما ذكر بن حامد من أن القبائل التي تســـكن، بشـــكل منقطع، في الجنوب" أقل أعدادا" نجد مفارقة واضـحة؟ هنا ننبه إلى أن الجنوب (الكبلة) الذي تحدث عنه بن حامد كان يتأثر قبل سبعينيات القرن العشرين بالمناخ السوداني وكان سكانه أقل من سكان الوسط الذي ذكرنا أنه كان يوفق بين تباين طباع الجنوب والشمال.

وهكذا نرى كيف يصـــنف طبع كل موريتاني من طرف نظيره وفقا لموقعه الجغرافي، فالإنســـان في الشـــرق الموريتاني يوصـــف من لدن نظيره في الشـــمال (آدرار) والجنوب الغربي(الكبله) بأنه طبع ســـطحي يتعامل بحتا مع البديهيات ولا يبحث عن خلفيات الأقوال والأفعال وأنه ســـريع الانفعال، وفي مقابل هذه النظرة يصـــف إنســـان الشـــرق الموريتاني نظيره في الشـــمال والجنوب الغربي بالغموض والخوف من الصراحة في القول والفعل، خاصة إنسان الجنوب الغربي(الكبلاوي).

وإذا حاولنا نقل هذه الأوصاف البينية من وضعية الانطباعات النفسية إلى الواقع المعقول في إطار العلاقة بين البيئة والطبع الإنساني، فقد نجد مقوما أساسيا لهذا التفسير في ثنائية الجذب والطرد المناخي، إذ يمكننا أن نعتبر طبع إنسان الشرق الموريتاني، وخاصة في وسط وجنوب المنطقة، هو نتاج لوضعية حرارة المناخ المصحوبة بنسبة معتبرة من المطر جعلت منه إنسانا بديهيا في إدراكه بسبب الرخاء المعيشي الذي يجعل الإنسان لا يبالي بالكثير من العواقبولا يتعامل مع الأشياء إلا بمظاهرها البديهة، كما ذكر ابن خلدون عن حال أهل مصـــر[1]، وحار الطبع نتيجة حرارة المناخ، ويعيش الإنســـان في الجنوب الغربي نفس الظروف المطرية لكن مجاله يتميز أقل حرارة المجال الشرقي، بحكم إقامته قرب المحيط الأطلسي مما جعل طبعه أكثر هدوءا على قدر الهواء.

أما الإنسان في الشمال والشمال الشرقي الموريتاني فقد طبعته الظروف المناخية القاسية الحارة والجافة بطابع التأمل والتروي نتيجة طول أمد تكيفه معها فصدقت فيه مقولة بن خلدون الرامية إلى أن سكان الصحراء في جوانب من حياتهم يتفوقون على سكان المناطق الرطبة، رغم قساوة المناخ وشـــظف العيش "فألوانهم أصـــفى، وأبدانهم أنقى وأشـــكالهم أتم وأحســـن، وأخلاقهم أبعد من الانحراف..."[2]ويبدو أن هذا التباين في الطباع لم تسلم منه . فلسفة الاستيطان بل شملها كذلك.

---

[1] . ابن خلدون العبر، سيق ذكره، ص .48.

[2] . نفس المصدر، ص 48.

2. انعكاس المناخ على الحالة السكنية في موريتانيا

الحالة الســـكنية هي مظهر من مظاهر الهوية لأنها تعبر عن ذات معينة مدنية كانت أم بدوية، وهذه الذات هي هوية بعينها تســـتنطق عقل كل مجتمع وتحدد التباين والتطابق الحاصـــلين بين مكوناته.. ومعروف أن الحالة السـكنية تمر بتجربتين عبر حياة البشـرية هما تجربة الرحيل وتجربة الاستقرار، فتعكس الأولى غالبا بالسلوك البدوي وتنعكس الثانية غالبا بالسلوك الحضري أو المدني إلا أنه قد يظهر لدى بعض الشـعوب الرحل سـلوك مدني إذا كانوا يحملون حضـارة ذهنية ترافقهم أينما حلوا، كما هو شـأن شـعوب الصـحراء التي حملت رسـالات سـماوية كالعرب مثلا.. وفي ذات الوقت قد نجد بدو مســـتقرين بقوا على البدائية نتيجة غياب الحضـــارة من ذهنيتهم، كما هو حال شعوب الغابات الذين لم تصلهم بشائر الديانات.

ويلاحظ أن بعض الباحثين عن الآثار الحضارية التي تعبر عن هويات الشعوب والأمم لا يعتد إلا بما يؤكد مظهرا من مظاهر الاستقرار، وإن كانوا محقين في ذلك على ضوء إثبات الأدلة المادية لأحداث الماضي، إلا أنهم بإبعادهم لشواهد الاستيطان البدوي عن دائرة تفسير المظاهر الحضارية أبعدوا تجربة الصحراويين عن الدائرة الحضارية كلها التي تشمل كل ما خلفه الإنسان من آثار مادية وذهنية.ويبدو أن أحد الشعراء الصحراويين ثارعلى هذا التصنيف الذي يحصر الحضارة في ثوب واحد من أثواب الحياة ويعطي أفضلية للتحضر على البداوة حيث يقول:

إن الحضارة شيء ليس للبشر إدراك كنه الذي فيها من العبر

منها العذوبة والتعذيب قد جمعا والحسن والضد في آن لمفتكر

إلى أن يقول:

ما في البداوة من نقص تعاب به من قبل ما ضنت الأعوام بالمطر[1]

يظهر تأثير المناخ على الحالة الســـكنية في موريتانيا من خلال الآثار التي تســـتنطق تجارب الاســـتيطان عبر محطات تاريخ البلاد، وكانت تحفظها الكهوف والمغارات الجبلية والحفر الرملية، ولم تخل تلك التجارب من حالات اسـتقرار[2]نضـجت خلال الصـر الوسـيط بنشـأة مدن"لا تتمتع

---

[1] . الداه ولد سيد الأمين: **العذب الصافي من لذيذ القوافيديوان الداه ولد سيد الأمين ولد أحمد الكنتي**، جمع وتحقيق ودراسة الأستاذ محمد إبراهيم ولد الداه، ب. ت.ن.، ب، م.ن، ص100.

[2] . أظهرت دراسات أثرية وجود ما يقارب 250 قرية شيدت بالحجارة على ظهر تيشيت راجع:

Robert Vernet:**La Mauritanieavantl'Islam : néolithique et protohistoire**, The Maghreb review, Volume IX N° 5-6, 1984,p,114.

وقد لاحظنا خلال بحثنا عن شواهد الاستيطان في منطقتي أفله والرقيبه وجود العديد من الشواهد التي تدل على أن هذه المنطقة عرفت الاستيطان المستقر عبر مراحل التاريخ.

بامتيازات مناخية كبيرة"[1] مثل (**أودغست، كومبي صالح، أزوكي**)لتتطور بظهورجيل أحدث من ذلك لكنه يتأثر بنفس العوامل المناخية مثل(**بيرو"ولاته"، وادان ، تيشـــيت، الشـــنقيط**)إلا أن هذا الاســتقرار ظل محدودا وظلت الســيادة للرحيل تبعا للوضــعية المناخية التي لا توفر من مقومات الحياة ما يضمن الاستقرار بالنطاق الصحراوي في الوقت الذي لا يسمح ارتفاع المطر النسبي في النطاق السوداني لبعض السكان بالاستقرار هناك خوفا على مواشيهم من تبعات التلوث.

لقد طبع المناخ هوية الإنسان الموريتاني خلال العصر الحديث وما قبله، على الصعيد السكني، بطابع الترحال إلا في حالات نادرة حصــلت كالتي ذكرنا، عن الحقبة الوســيطة وحالات ظهرت مؤخرا في العصــر الحديث مثل(**النعمة، تجكجة، الرشــيد، قصــرالبركة، قصــر الســلامة، قصــر انواملين...**)ويؤكد أحمد مولود ولد أيده على تضافر العوامل التي تقلص حجم المشاركة الحضرية كوجه من أوجه هوية الســكان في غرب الصــحراء (موريتانيا)"لعل أبرزها العامل المناخي ، حيث يشكل المناخ الصحراوي عائقا في وجه التحضر و تملي الأوضاع المناخية على المجموعات التي تعيش في هذا الفضاء نمط عيشتطبعه البداوة و الترحال بحثا عن الماء و الكلأ "[2].

لقد ساهمت العوامل المناخية المتعلقة أساسا بتراجع خط المطر عن الناحية الشمالية من البلاد، الذي يبدو أنه عرف تطورا خطيرا ابتداء من العصر الحديث، في تراجع مستوى التمدن الذي كان قد أوشك على التقدم خلال الفترة ما بين انتشار الإسلام، خاصة مع المرابطين، وقيام الإمارات، حيث نزح الكثير من سكان مدن القوافل الشمالية (**وادان، تنيكي، شنقيط، تيشيت**) نحو الجنوب وتوزعوا داخل المجال بحثا عن مواطن العشب لماشيتهم، وسبيلا كذلك إلى الاقتراب من مواطن الحبوب التي ندرت في الشمال لنفس السبب.

وفي هذا العصــر ســيحاول بعض الســكان إعادة تجاربهم المدنية في المناطق التي نزحوا إليها من خلال بناء ما أطلقوا عليه اســم **القصــور**، لكن هذه المراكز لم تصــمد طويلا أمام عوامل الخراب وعلى رأسها العام المناخي مثل: **قصر البركة، قصر انواملين**[3]، **قصر السلامة، تكبه، ترني** عكس

---

[1] . أحمد مولود ولد أيده: **مدن موريتانيا الوسيطة قراءة في التاريخ الحضري والتراث العمراني**، شهادة الدراسات المعمقة في الآثار والتراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية . تونس، 2001، ص45.

[2] . ولد أيده: مدن موريتانيا الوسيطة، سبق ذكره، ص 54.

[3] . لا تذكر المصادر المكتوبة نواملين ضمن المراكز الحضرية التي نشأت بعد هجرة سكان الشمال الموريتاني خلال العصر الحديث، وتكتفي بإشارات تفسيرية لأساطير تحكى عن أعيان سكنوا قرب هذا الجبل أمثال الطالب المصطفى القلاوي ولمرابط سيد محمود(كرامات شيخ وتلميذ)، وتركز على علاقة الطالب المصطفى بقصر السلامة معتمدة على بعض الروايات الشفاهية بدلا من التركيز على الروايات المكتوبة عن هذه الحاضرة أو القصر= الذي ورد ذكر تأسيسه

مدن أخرى ظهرت في هذا العصر واستطاعت البقاء رغم التحديات لأن المعايير التي وضعت لها يبدو أنه تمت فيها مراعاة التحديات الطبيعية كما تمت فيها مراعاة التقليد الحضاري مثل: **تجكجة، الرشيد،النعمة**، حيث بنيت هذه المدن ببين الحصون الصخرية والأودية بحثا عن تلطيف الحرارة وتخفيف تأثير الرياح تقليدا لما عرف في المدن العتيقة **(ولاتة، تيشيت، وادان، تنيكي، شنقيط)**. وهذا لا يعني أن القصور لم تحضر في ذهنية مؤسسيها يقظة الاحتياط لتحديات المناخ ولكنها كانت دون مستوى يقظة مؤسسي المدن، وهكذا أمكن القول إن المناخ خلال العصر الحديث فرض على الإنسان الموريتاني أن يكون رحالا في الغالب، إن لم نقل بدويا.

المحور الثاني: دور التضاريس في تشكل الهوية الموريتانية خلال العصر الحديث.

ترتب دراسة الأشكال التضاريسية وفق المناهج التربوية، انطلاقا من أهميتها في حياة الإنسان وعلى ذلك تتم دراسة السهول أولا ثم ترتب المناطق الوعرة بدءا بالهضاب فالجبال والتلال والرمال في المناطق الصحراوية. ونحن قبل أن نباشر دور التضاريس في تشكل هوية المجتمع الموريتاني قد لا نتقيد بذلك المنهج، وإنما يلزمنا أن نشخص الخصائص التضاريسية للبلاد ضمن إقليمها في القارة (غرب إفريقيا) انطلاقا من الحالة الراهنة وأبرز العوامل التي أنتجتها.

تدخل موريتانيا ضمن إفريقيا الغربية التي تتشكل" من هضبة عملت العوامل الطبيعية في تغيير قشرتها الخارجية"[1]وتشير أغلب الدراسات إلى أن للعامل المناخي الأثر البارز في إخراج الأشكال التضاريسية بموريتانيا على النحو الذي تظهر به اليوم متفوقا على العامل الجيولوجي، حيث عملت الظروف المناخية على تفتيت الكثير من الصخور لدرجة إزالة مظاهر القاعدة القديمة في بعض

بشكل صريح لدى البرتلي في كتابه **فتح الشكور** وهو معاصر للفترة (ت 1219هـ) من طرف الحاج أحمد بن الحاج الأمين المعروف **بالتواتي** وذلك أثناء ترجمته له حين قال عنه "...ومن همته أنه بنا قصر السلامة..."وبالعودة إلى ما يذكره بعض المؤرخين من أن قصر السلامة تأسس سنة 1154هـ 1740م (راجع المجتمع الأهلي للدكتور حماه الله ولد السالم سبق ذكره، ص215)" وما ذكره بعض من أصحاب التراجم كالبرتلي وابن طوير الجنة وابن حامد عن وفاة الطالب المصطفى بجعلها إما سنة 1139 أو 1140هـ لا نجد مقوما لعلاقة الطالب المصطفى بقصر السلامة لأنه تأسس بعد وفته بما لا يقل عن 14 سنة.

وخلال بحثنا عن شواهد الاستيطان في أفله والرقيبة (تحت الإعداد) لاحظنافي الناحية الجنوبية الشرقية من جبل نواملين وجود شواهد تدل على خراب قصر لا تقل المساحة التي يشغلها عن مساحة قصر السلامة وهو ما يمكن التأسيس عليه بأسطورة إزاحة طرف الجبل عن الشمس حتى يتضح لمجادلي لمرابط سيد محمود(زحرحاز نواملين) أن وقت الإفطار لم يحن بعد، ويشفع لهذا الاعتقاد أن شمس الشتاء والربيع هنا تغرب نحوالجنوب الغربي.

[1]. محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 2007، ص21.

مناطق البلاد[1]. ويذكر بعض الباحثين أن هذا العامل كان له دور مهم في توفير المعادن في بعض مناطق غرب إفريقيا من ضمنها موريتانيا، حين قال"لقد كان من شأن التغيرات والتقلبات المناخية خلال عهود جيولوجية طويلة أن تغطت أرض إفريقيا الغربية بتربة حمراء غنية بالمعادن ناتجة عن تفتت الصخور. وينتشر الحديد في موريتانيا والفوسفات في السنغال ..."[2]

وقد ميز **ريمون فيرون RAYMOND FURON**، أثناء حديثه عن الصحراء الغربية،"منطقة قديمة من الصخور البلورية هي سلسلة الرقيبات التي تمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي"[3]وأشار إلى بعض الاختلاف بينها وبين المناطق المحاذية لها بقوله إن جبال الرقيبات " تحدها في الشمال والجنوب مظاهر السطح التي تنتمي للزمن الأول الجيولوجي، ففي الشمال تحدها طية تيندوف المقعرة وامتدادها نحو الجنوب الغربي في موريتانيا(...) وفي الجنوب نجد مقعر تاودني الكبير الذي تحده سلسلة من الحافات التحاتية ، فهنا استطاع **مونو** أن يهتدي إلى تحديد النظام الحنكي..."[4]ثم قال عن الكثبان الرملية التيتميزالمناطق الصحراوية " ويوجد هنا كثير من الكثبان الرملية التي تمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، ويتراوح ارتفاعها في المتوسط بين 400، 500 متر"[5].

وقد استنتج الدكتور الناني ولد الحسين "أن مظاهر السطح في غرب الصحراء كانت –مثل ما عليه الحالالآن تقريبا–تتميز بالبساطة، إذ تخلو من التضاريس المعقدة والقمم الشاهقة، فأعلى ارتفاع بها هو"**كدية أجّلْ**" التي يبلغ ارتفاعها 915مترا"[6]. وتذكر بعض الدراسات أن جبال الرقيبات وسلسلة الموريتانيد تعرضتا للتعرية "ولم يبق منهما سوى تلال منعزلة يطلق عليها محليا اسم [الكلاب]"[7].

---

[1] . نحتت العوامل المناخية جبال القاعدة القديمة في شمال البلاد واستبدلتها بسهول تحاتية.

[2] . محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 23.

[3] . ريمون فيرون: **الصحراء الكبرى**، ترجمة جمال الديني الديناصوري، مراجعة نصري شكري، مؤسسة سجل العرب،1963، ص40 و41.

[4] . نفس المرجع، ص 41.

[5] . نفس المرجع، ص 41.

[6] . الناني ولد الحسين: **صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ / 11م**، دار المدار الإسلامي،2007، ص 22.

[7] . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: **الجمهورية الإسلامية الموريتانية–دراسة مسحية شاملة**، دار نافع، القاهرة، ،1978، ص 169.

ويذكر الناني أن من بين أهم مظاهر السطح السائدة بهذه المنطقة عدا الجبلية منها: السهول التحاتية، التي تتناظر" مع امتداد **سلسلتي اركيبات** في الشمال و**جبال الموريتانيد** في الغرب"[1]، كما يذكر أنه من مميزات سطح هذه المنطقة أيضا وجود مجموعة من الهضاب التي يتراوح ارتفاعها ما بين 200 و400متر تقريبا، من أشهرها هضاب: **آدرار** و**تكانت** و**لعصابه**، و**أفله** وتطل هذه الهضاب على السهول والسهول التحاتية بواسطة جروف تعرف في الصحراء باسم الظهور"، ومن أهمها ظهر شنقيط[2]، وظهر تيشيت، وظهر ولاتة والنعمة"[3].

إن المعطيات التي تقدمت معنا ركزت أساسا على المظاهر التضاريسية الموجودة في النواحي الشمالية الشرقية والشرقية والوسطى من البلاد وكادتتهمل النواحي الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الغربية المطلة على المحيط أو نهر السنغال والتي لعبت أدوارا مهمة في جذب السكان إليها فشكلتعايشهم فيها فرصة لرسم ملامح هويتهم تكيفا أو ملائمة مع الظروف الطبيعية؛ ولو أن "الأنهارعلى أهميتها لم تكن هي معتمد سكان الصحراء في حياتهم اليومية وحياة مواشيهم"[4]

ونحن بسعينا لتسليط الضوء على دور التضاريس في تشكل الهوية الموريتانية سوف نبين حالة كل شكل من أشكال التضاريس له دور يذكر في هذا التشكل. وكما أننا أخذنا دور توزيع مناخ البلاد إلى أقاليم في تباين طباع المجتمع فسنأخذ كذلك دور التضاريس في هذا التباين. وإذا أردنا أن نقسمها إلى أقاليم تضاريسية لكي نعرف مدى تأثير ذلك على تشكل هوية السكان نقول إنها مقسمة إلى إقليم هضاب يمتد على شكل قوس يتفاوت استقطاب أجزائه للسكان حسب الظروف المناخية، حيث ترتفع نسبتهم في هضبتي: أفله، لعصابه على حساب، آدرار، تكانت .. وبالتوازي مع الإقليم الهضبي يظهر إقليم الرمال الذي سبق وأن حدثنا عنه ريمون فيرون.

أما الإقليم الأكثر سكانا فهو الإقليم السهلي الذي يمتد على شكل هلال من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ويسير نهر السنغال بجانب جزئه الأوسط ما بين كيدي ماغة وروصو ويمكن تصنيفه بإقليم **المراعي** بينما يمتد الإقليم الذي يليه اليوم في الأهمية على صعيد استقطاب السكان وهو الإقليم الشاطئي من رأس انجاكو بالترارزة جنوبا حتى الرأس الأبيض بانواذيبو شمالا.

---

[1] . الناني ولد الحسين: المرجع السابق، ص 22.

[2] . ربما الأشمل أن يقال ظهر آدرار لأن شنقيط هي مجرد مدينة شيدت على موضع من مواضع ظهر آدرارولیست أولها ولا أكثرها تمركزا في عمق هذا الظهر حسب اعتقادنا.

[3] . الناني ولد الحسين، مرجع سبق ذكره، ص23.

[4] . ددود: **ديناميكية تشكل الهوية**، مرجع سبق ذكره،ص 5.

وإذا كان الإقليم الشـاطئي يمثل اليوم قبلة السـكان ابتداء من أواخر الحقبة المعاصـرة وما حدث فيها من جفاف، وما أدى إليه نزوح سكان الأقاليم السابقة نحوه من تذليل الفوارق في طباع أفراد المجتمع فإن إقليم السهول الواقع جنوب الهضاب وإقليم الهضاب، كانا يمثلان خلال الفترة الممتدة مابين تراجع الطريق الغربي الذي كانت تسـلكه القوافل من المغرب نحو مملحة آوليل وظهور التجارة الشـاطئية، قبلة هؤلاء السـكانالموعودة. وظلا ينافسـان الإقليم الشـاطئي طيلة الفترة الحديثة التي نرى أن هويتهم استقرت فيها على حال قريب مما هي عليه اليوم، بتباينها وتطابقها إقليميا.

وهذا ما يؤكده غياب الحديث عن الغرب والجنوب الغربي الموريتاني من لدن الحسن الوزان ـــ زار المنطقة في بداية القرن 10هـ 16مـ الذي ركز حديثه على الشرق والشمال الشرقي الموريتاني وقسمه إلى ناحيتين إحداهما شـمالية والأخرى جنوبية وضـم الشـمالية لقسـم الصـحراء الذي كان الرمان يسـمونه النوميديا أو بلاد الجريد عند العرب أي التي ينمو فيها النخيل واعتبر أن البعد الشـاسـع "الذي يفصـل بين المواقع المسـكونة فيه"جعله"أقل أقسـام إفريقيا قيمة"[1] وذكر أن هذه الناحية من الشـرق الموريتاني تمثل الحد الغربي لهذا القسـم ابتداء من "تيشـيت، ودان..." أما الناحية الجنوبية فقد ضـمها لبلاد السـودان وميزها عن سـابقتها بكثرة السـكان،لدرجة تعددالممالك "وإليك أسـماء هذه الممالك من الغرب إلى الشرق:**ولاتة، جني، مالي، تنبكتو...**"[2]

ولو أن وصـف الوزان للحواضـر الموريتانية التي تحدث عنها مثل تيشـيت ووادان يبدو غير دقيق في بعض جوانبه، حيث نعت سكانها بالبعد عن الثقافة وسواد البشرة وقلة الحيلة وعدم الاستحياء من كشف العورة[3] علما أننا نجد في المصادر ما يؤكد أن هذه الحواضر أصبحت تتطلع نحو الريادة العلمية والتجارية في الفترة التي زار فيها الوازان المنطقة صـحبة عمه الذي " كان مكلفا عام 917هـ 1511م بسـفارة بين ملك فاس محمد الوطاسـي وملك السـنغاي محمد أسـكيا الكبير"[4] ومن القرائن الدالة على عدم دقة هذا الوصـف أن محمد بن أبي **بكر الوادانـي** مؤلف كتاب **موهوب الجليل** تذكر المصادر أنه كان حيا سنة 933هـ ولا يمكن أن تتحول وادان من قرية علم لأهلها يمنعهم من كشف عوراتهم إلى مدينة تنتج العلم وتخرج العلماء في غضـــون 16 ســـنة، هي الفارق بين زيارة الوزان

---

[1] . الحسن بن محمد الوزان، المعروف بليون الإفريقي: **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ط1983،2، ص31.

[3]3 نفس المصدر، ص32 و33

[3] . راجع الحسن بن محمد الوزان، المعروف بليون الإفريقي: **وصف إفريقيا**، ج 2، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ط1983،2، ص 115 و116.

[4] . راجع مقدمة المترجمان للجزء الأول من وصف إفريقيا سبق ذكره، ص 9.

وتأكيد حياة الواداني، هذا إذا تأكد أن الواداني توفي بمجرد انتهائه من كتابة موهوب الجليل؛ ولا يستبعد أن يكون للخلاف الزناتيـ الصنهاجي تأثير على تقزيم المدن التي يعود أول استيطانها لإحدى القبائل الصنهاجية (مسوفة) من لدن الوزان، زناتي القبيل وكاتب السلط الزناتية.

لقد أصـبحت إذا معالم الأقاليم التضـاريسـية واضـحة في موريتانيا منذ الفترة الحديثة على الأقل وبقي لنا أن نسـلط الضـوء على مدى تأثير هذا التوزيع التضـاريسـي لأقاليم البلاد على هوية المجتمع من حيث الطباع والحالة السكنية.

1 . أثر التضاريس في طبع الإنسان الموريتاني.

إذا كان ارتفاع الحرارة وجفاف الهواء في الشـرق الموريتاني بشـماله وجنوبه قد جعل طبع الإنسـان هناك ينطبع بالحدة والتسرع في المواقف بحكم تعمقه في اليابس، وكان إنسان الشاطئ أقل حدة من ذلك بقدر ما يلطف به هواء الماء حرارة المناخ الصحراوي والساحلي وجفافهما، فإن تفاوت الأشكال التضاريسية في المجال كان له دوره كذلك في تباين طباع الناس، ولو على قدر دون قدر المناخ.

صـحيح أن انعكاس المناخ على طبع الإنسـان الموريتاني، وتباين الطباع تبعا لتباين أقاليم المناخ، قد لا يكون بذات النتيجة التي ينعكس بها عليه اختلاف الأشـكال والأنواع التضـاريسـية، فالمناخ، وحسب نظرية ابن خلدون، ينتج عنه اعتدال جميع أحوال الناس من طبع وعبادة ونشاط وسكن ... في المناطق المعتدلة والعكس صـحيح في المناطق الحارة تنحرف أحوال الناس "والسـبب في أنهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض أمزجتهم وأخلاقهم[1] من عرض الحيوانات...[2].

ولم يصـرح بن خلدون، في إرجاعه تفاوت طباع الناس إلى تفاوت أحوال الطبيعة، بدور كبير للتضـاريس، ولو أنه مر عليها بشـكل خاطفأثناء حديثه عن قسـمة بعض الأقوام في الأرض مثل بعض العرب[3]الذين توطنوا القفار التي قد تصـادف في موريتانيا السـهول التي تكونت إثر تفتيت الصـخورثم اعترتها أمواج الجفاف فعرتها من الغطاء النباتي لتتصـحر، مما جعل سـكانها يتأثرون

---

[1] الأخلاق هنا هي ما نقصد نحن به الطبع أي أنها تعني عند ابن خلدون الخلقة أو الطبع الذي ينهض في الإنسان كلما تمت إثارته ومهما كان عليه حال هذا الإنسان من الصنيعة أو التطبع. وليس المقصود بها في هذا المقام السلوك لأن السلوك فيه ما يدفعه الطبع أي الفطرة، وفيه ما يدفعه نتاج التجربة أي السلوك المكتسب.

[2] . ابن خلدون: العبر، مصدر سبق ذكره، ص 46.

[3] . المتتبع لمواقف بن خلدون قد يلاقي حيرة تجعله يكاد يوقن أن هذا المفكر يتناقض في بعضها فنراه في بعض المواقف يجعل العرب ومن في معناهم من البربر " أشد الناس توحشا..." راجع العبر مصدر سبق ذكره ص64 وفي بعضها نراه يستثنى من مواطن العرب الجزيرة لأن " جزيرة العرب كلها أحاطت بها البحار من الجهات الثلاث" العبر سبق ذكره ص 46 و47 كما نراه يشمل الشام والعراق والمغرب لأقاليم الاعتدال وهذه هي جل مواطن العرب.

بهذه الوضعية القاسية وربما نتج عن ذلك نوع من القسوة الطبيعة نلمس جوانب منه ـــ رغم تحكم العادات السمحة والقيم الدينية . في سكان المناطق الشمالية البعيدة عن تأثير الشاطئ والهضاب.

أما وضـــعية التلول التي وردت في حديث بن خلدون فلا نعتقد أن لها مماثلة في موريتانيا وإن كان في البلاد ما يمكن وصـــفه بالتلول أو التلال من حيث الارتفاع فإن انتشـــاره الأفقي لا يجعل منه شكلا تضاريسيا يسترعي الاهتمام على ضوء دراسة تأثيره في تشكل هوية السكان كما هو شأن الجبال انطلاقا من المعيار المتفق عليه القاضي بتصنيفها اعتبار لارتفاع لا يقل عن 1000م.

وكهذا تمكنت الهضـــاب من الانفراد بتمثيل المظاهر الجبلية التي لها تأثير على حياة المجتمع الموريتاني وخاصـــة منذ الفترة الحديثة عندما اســـتقرت هويته على ما هي عليه الآن أو قريبا منه،وهذه الهضاب تتفاوت أهميتها ، كما ذكرنا سابقا، على صعيد استقطاب السكان من منطقة إلى أخرى تبعا للتغير المناخي الذي شـهدته البلاد ونظرا لسـهولة اجتيازها وما يوفره علوها من مقومات العيش، ويبقى عنصـر التطابق في طباع سكانها متمثلا في العقلية التي يتميز بها سكان الهضـاب (أهل الحجرة) عن سكان السهول سواء منها تلك (الخصبة) في الجنوب أو تلك القاحلة في الشمال.

وإن كنا أكدنا على تطابق عقلية ســـكان الهضـــاب، فإن ذلك لا يعني عدم وجود تباين بين هؤلاء الســكان في جوانب معينة يتبينمن خلال الفوارق في دقة الذكاء والقدرة على تســيير الحوار وهو ما يتضــح بالنظر إلى التميز الحاصــل بين ســكان الهضــاب الشــمالية عن تلك الجنوبية، حيث يعتقد المجتمع أنه يعطي التفوق في الحنكة لسكان هضبة آدرار فسكان هضبة تكانت ثم أفله فلعصابه.

وإذا سلمنا بهذا الاعتقاد فإن تسليمنا به يبقى محصورا في القدرة على التروي والتمويه، ذلك أن أهل آدرار ليسوا أذكا جملة[1] من أهل تكانت ولا أهل أفله ولا لعصابة إلا بمقدار فارق المناخ وما مكن به سكان آدرار من حاسة التأمل وأخذ التدابير جراء طول أمده؛ وتجدر الإشارة إلى أن هضبة لعصابة لا توازي آدرار وتكانت وأفله في اســتقطاب الســكان، ولم تعرف أعاليها نفس النشــاط الاســتيطاني الذي عرفته الهضاب الأخرى بسبب عدم سهولة اجتياز حافاتها لذلك تعتبر عوامل تأثيرها في طباع الســـكان محدودة مقارنة بالمناطق المحاذية لها مثل آفطوط والرقيبة.ومن هنا نبين أن إبراز ملامح الهوية يمكن من خلال عدة جوانب رأينا أن الطبع البشـــري أكثرها تعبيرا وهذا الطبع يظهر عبر الســـلوك في التعامل وعبر وســـائل الإنتاج الذهني التي تتجلى من خلال الإبداع والابتكار في مجالات الاختراع والإنتاج الشعري وغير ذلك.

[1] . الذكاء يشمل سرعة البديهة وسرعة الابتكار والفطنة، وهذه الصفات يجتمع سكان الهضاب في الكثير منها.

ومن الملاحظ أن ســكان الهضــاب والجروف الجبلية المعروفة بالظهور كانوا ، إلى أواخر الحقبة الحديثة، أكثر المجتمع الموريتاني اختراعا[1]وإنتاجا شـــعريا وذلك نتيجة وجود المقاصـــد، فطبيعة الهضـــاب أنها خلابة المناظر لإطلالة حافاتها على الأودية والمصـــاب مما جعلها تثير مشـــاعر الســاكنة وهذا الجانب تتفوق فيه هضــبتي تكانت وأفله على آدرار ولعصــابه، حيث أن تكانت وأفله وظهر النعمة وظهر تيشيت[2]، ظهرت فيهم مدارس شعرية شعبية وفصيحة متعددة الأغراض، كانت من بين أهم المحفزات الأساسية لظهور مدارس موسيقية متميزة هناك، بينما كانت المدرسة الشعرية الموجودة قرب لعصابة[3] في سهل الرقيبة ومنخفض آفطوط ذكرنا سبب ذلك وهو عدم قدرة السكان على اجتياز الهضــبة، أما مدرســة آدرار فكانت أكثر حضــورا في الباطن ومحاذاة الكثبان رغم أن المدارس العلمية نشأت على جرف الهضبة (ظهر آدرار) في وادان، شنقيط، تنيكي.

وإذا كان في الأشكال التضاريسية ما يوازي مكانة الهضاب من حيث تفتق قرائح الشعراء وشد فطنة العقلاء فهو الكثبان الرملية ســـواء منها تلك التي تقاربها في المكان أو تلك التي تبعد عنها ولهذا نجد مدارس شعرية في الشمال الغربي(الساحل) وأخرى في الجنوب الغربي(الكبله) رغم التفاوت في مستوى الإدراك وحجم الإنتاج الذي يتفوق به الجنوب الغربي على الشمال الغربي، وإن أمكننا إيجاد تفسير لذلك فنعتقد أنه خارج تأثير الطبيعةإنه من باب مصاحبة التحصيل المعرفي.

أما سكان السهول والمنخفضات في موريتانيا فإن طباعهم تأتي حسب القرب أو البعد من الهضاب والشـــاطئ البحري، ففي الشـــرق وحيث يقع الجزء الغربي لحوض تاودني داخل البلاد أو ما يعرف حاليا بمنطقة الحوضــين يلاحظأن طباع الســكان في الناحية الشــمالية من هذا الحوض تكاد تميل

---

[1] . كلما زرنا معلمة جبلية لاحظنا وجود آثار لتصفية الحديد يسميها المحليون(احجار رزة) متخيلين أن تميزها عن محيطها يعني أنها ليست من سطح الأرض وإنما هي صخور سماوية تأتي مصاحبة للصواعق أثناء المطر.

[2] . ننبه إلى أن فصل تيشيت هنا عن تكانت طبيعي لأننا نتحدث عن الجغرافيا والناس قبل وجود التقسيم الإداري، فظهر تيشيت يشكل علما جبليا تفصله عن هضبة تكانت سلسلة من الرمال المتحركة صعبة الاجتياز.

[3] . المقصود بلعصابه الهضبة وليس الولاية لأن هذه المصطلحات سابقة، كما أشرنا في الهامش أعلاه، على التقسيم الإداري الذي بمقتضاه طغى أحد التسميات على عموم التسميات القريبة منه (لعصابه . تكانت) مثلا.

إلى طباع سكان الهضاب.وقد أشار العمري، إلى صفة لسكان منطقة قريبة من هذا الجزء سماها " **بلاد بغامة**"حين قال" ولهم بصر ثاقب[1]بالأرض التي في باطنها الماء ويد طولى في إنباطه"[2].

أما بالنسبة للناحية الجنوبية من الشرق الموريتاني فإن طباع سكانها متأثرة ببساطة السهول وابتعادها عن المرتفعات وهي أميل إلى الخمول الذي حدثنا عنه بن خلدون رابطا إياه بتأثير الهواء الرطب ونحن نعتقد أن ما يوجد من رطوبة في جنوب الشرق الموريتاني مرتبط بتحسن الوضعية النباتية التي تمثل جزءا من التضاريس خاصة الغابات منها،يحدثنا العمري عن بعض أشجارها في معرض حديثه عن بلاد **مقزارة**[3] التي كان يطلقها الجغرافيون العرب على الجنوب الموريتاني حاليا إلى غاية المحيط الأطلسي، حين يقول" وينبت على شاطئ النيل[4]بها[5] الأبنوس"[6].

والملاحظ أن سكان الغابات في العالم تتميز طباعهم بالخمول وكلما اتسع حجم الغابة تراجعت تبعا له قوة الإدراك ودقة الفطنة وهذا الاستنتاج يبدو غائبا في استنتاجات الكثير من الدراسات التي تمكنا من قراءتها. وبناء عليه تكون عقليات وطباع سكان السهول الواقعة في الجنوب والجنوب الشرقي أكثر خمولا نتيجة عامل الرطوبة الناتج عن ارتفاع نسبة الغابات مقارنة بما عليه حال الشمال والشمال الشرقي وكذلك الجنوب الغربي والغرب والشمال الغربي المطلين على الشاطئ.

2 . انعكاس التضاريس على الحالة السكنية في موريتانيا.

ذكرنا في المحور السابق أن الحالة السكنية هي مظهر من مظاهر الهوية لأنها تعبر عن ذات معينة مدنية كانت أم بدوية، وحسبنا هنا أن نبين انعكاس التضاريس على الحالة السكنية للمجتمع الموريتاني سعيا إلى البرهنة على دورها في تشكل هويته خلال العصر الحديث. ولا شك أن للتضاريس دور كبير في رسم ملامح هوية الإنسان الموريتاني على صعيد السكن، حيث جعلت

---

[1] . بصر ثاقب تدل على الفطنة والذكاء، وهذا الوصف نعتقد أنه مشترك بين سكان تماس الصحراء مع الساحل أي سكان الرمال الواقعة بين هضاب الصحراء وسهول الساحل من شرق هذا الحيز الذي يسكنه طوارق مسوفة ومن انضم إليهم من قبائل العرب القادمة ما بعد الإسلام ضمن إقليم أزواد، إلى غربه الذي يسكنه مجتمع البضان المتشكل حديثا ضمن المجال الموريتاني.

[2] . شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي، المجمع الثقافي . أبو ظبي، 2003، ص 515.

[3] . مقزارة أو مغزارة عند الرحالة العرب تعني طول الجنوب الموريتاني حتى المحيط.

[4] . المقصود نهر السنغال وليس النيل لأن الجغرافيين وأصحاب كتب المسالك كانوا يطلقون على كل أنهار غرب إفريقيا(النيجر والسنغال) النيل اعتبار لنيل مصر والسودان.

[5] . أي بلاد مغزارة.

[6] . العمري: المصدر السابق،ص514.

منه إنسانا مرتحلا في أغلب الأحيان تقديرا لصعوبتها التي تتصدرها إشكالية زحف الرمال المانعة من إمكانية الاستقرار لأنها تهدد بقاءه في السهول وترغمه على اعتلاء الهضاب والقلاع كلما هم بإنشاء حاضرة أو قرية، فضلا عن وجود بعض الأودية والهضاب التي يستحيل الاستقرار قربها.

وبالعودة إلى ما تحفظه الذاكرة من أساطير التأسيس لبعض المدن يتبين أن علاقة السكن في موريتانيا بالتضاريس كلفت رواد هذا التأسيس عناء كبيرا أثناء تفكيرهم في إنشاء مساكن للاستقرار. تقول الأسطورة إن المؤسسين لوادان أخضعوا مواضع عديدة لقابلية تأسيس مدينة وفشلت التجارب إلا تجربة موضع وادان وأغلب العوائق كانت بفعل مخاطر التضاريس ولو أن بعضها له علاقة بالمناخ مثل السيول، غير أن السيل لا يكون خطيرا إلا في ظل وجود وادي عميق يصب فيه مرتفع جبلي أو رقوق جارفة وهذا من التضاريس؛ والعامل الذي تفوق به وادان كان وجود قلعة مرتفعة عن الأودية ومحصنة من زحف الرمال وعلى هذا الأساس يبدو أن جل المدن التاريخية الوسيطة والحديثة اعتمدت هذا المعيار إذا ما استثنينا مدينة شنقيط وكان اختيار موقعها نتيجة عامل تضاريسي أيضا وهو وجود وادي صالح لغراسة النخيل ومع ذلك ظلت المدينة في حالة صراع دائم مع خطر زحف الرمال الذي تفاداه أغلب مؤسسي المدن الأخرى.

لقد ذكرنا في محور المناخ أهم المدن والقصور التي شيدها الموريتانيون سواء منها تلك التي اندرست وتلك التي حافظت على البقاء والتي كانت بلا شك مرتبطة في أغلبها بالمناطق الجبلية مما جعل جل الدارسين للاستيطان في موريتانيا لا يتحدثون عن مدن ذات أهمية في الغرب ولا الجنوب ولا الجنوب الغربي لخلوي هذه المناطق من الجبال ولو أن الإدريسي تحدث لنا عن مواضع وردت لدى غيره من الرحالة العرب باسم مواضع إستراتجية وليست مدنا فيطلق عليها اسم المدينة وذلك بقوله" وفي هذا الجزء الذي رسمنا من المدن أوليل وسلى[1](...)[2]وهذه البلاد من أرض مقزارة السودان"[3] ثم يؤكد الإدريسي أن أغلب الجماعات المقيمة شمال نهر السنغال أي في الجنوب الموريتاني" لا يكون لها مأوى ولامستقرا إلا على النيل بعينه أو على نهر يمد النيل وسائر الأراضين المجاورة للنيل صحراء خالية لا عمارة فيها"[4].

---

[1] . ربما تكون هذه هي التسمية القديمة لعاصمة ولاية كيدي ماغة حالية (سيلبابي) فالتسمية القديمة هي (سلى) ولما تأمر فيها اعل بابي ولد أعمر الإدوعيشي نسبت إليه بإضافة (ي) بدل الألف القصيرة وأصبحت سيلبابي.

[2] . ذكر مدنا أخرى مثل تكرور وبريس ودو ومورة لكن هذه المدن أو المواضع لا تدخل ضمن المجال الموريتاني.

[3] . أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 17.

[4] . الإدريسي: نزهة المشتاق، سبق ذكره، ص17.

فالتضـاريس إذا أينما سـمحت للإنسـان الموريتاني بإقامة المدن حولت هويته إلى هوية مدنية وأينما بخلت عليه بذلك حولت هويته إلى هوية بدوية وهي الأكثر لأن تضـاريس البلاد كما رأينا لا تشـجع على التمدن بل إن المدلول السلكي للمدنية ،لم يحصـل بعد في البلاد وما عرف منه في العصـور الوسيطة والحديثة هو استقرار مقابل ترحال ولكن هذا الترحال صاحبته محطات من العطاء العلمي جعلت هوية الإنســـان الموريتاني محيرة للكثيرين، فهو مرتحل بســـبب قســـاوة الظروف الطبيعية والترحال يعيق تكريس الحضارة وهو حامل لمعارف كثيرة أحيانا لا توجد في أمصار عديدة!

فإذا كانت حرارة المنـاخ وجفافه، منذ الفترة الحديثة، قد حملا الإنســـان الموريتاني على الرحيل الموســـمي بحثا عن مقومات العيش من ماء وكلأ، وأعاقا عليه المكوث لما يســـمح بإنشـــاء مدن مكتملة المعايير المدنية، وإذا كان تباينه النسبي من إقليم إلى آخر أعاق تطابق طباع سكان القطر بما عقد الانصـياع وراء الفكرة الموحدة التي تمنح مركزية الكيان المنظم للعلاقة بين أفراد المجتمع، فإن صعوبة التضـاريس، من رمال متحركة وأودية جارفة تصـب من الهضـاب منعت قيام مدن قادرة على مواجهة التحديات عدا ما تسـمح به أعالي الهضـاب وله كذلك عوائقه أخطرها ندرة المياه، كما أن تنوع أشـكالها النسـبي (سـهول، محدودة الخصـوبة وأخرى شـبه قاحلة، مجابات رملية قاحلة، هضـاب وعرة رغم ما توفره من ظروف العيش ـــ رعي، زراعة)هو الآخر خلق عائقا دون انسـجام الطباع في ظل نفس الفكرة،وعلى هذا يبدو أنه تشـــكلت الهوية في موريتانيا خلال الفترة الحديثة، وربما قبلها، على نحو مضطرب يحتاج قوة القرار حتى يتشكل في ثوب جديد أقرب إلى التوحيد.

الخاتمة

لقد تأكد لنا أن للطبيعة دور بالغ الأهمية في تشـــكل هوية المجتمع الموريتاني لا يقل أهمية عن غيره من الأدوار الأخرى سواء منها السياسية والاقتصادية ولا حتى الجينية... هذا الدور نرجع إليه الكثير من المسـلكيات التي أصـبحت من جبلة هذا المجتمع والتي تجتمع فيها كافة فئاته وطبقاته، فيتساوى فيها الخواص مع العوام، وأبرز هذه المسلكيات حالة الأنا المتحكمة في أساليب المجتمع.

فالإنسان الموريتاني ليس جزءا من كل وإنما هو ذات لذات فهو لا يرى نفسه ملزما بالقرار الجمعوي إلا إذا تحقق من ذاته في هذا القرار، ومردنا لهذا إلى الطبيعة يكمن في أن هذا المجال الشـــاســـع الذي لا تســـمح مظاهر ســـطحه بالشـــراكة في الموارد، نتيجة ندرة الأراضـــي الزراعية والمراعي والمناهل، فســح المجال أمام الحرية في اختيار موطن الإقامة للاســتفادة من تلك الموارد على قدر حاجة الفرد للاستغلال كلما ضاق به المقام وكان غير متغلب على شريكه في هذا المقام.

وللتوضـيح أكثر نقول إن الطبيعة خلقت من الإنسـان الموريتاني إنسـانا غير مكترث بشـركائه في المجال لأن جفاف المناخ وتصحر جل مظاهر السطح وندرة المياه كلها أسباب منعت قابلية العيش المشترك في نطاق محدود لأكثر من كيان سياسي محدود النفوذإذا ما استثنينا محطة المرابطين.

إن وضـــعا كهذا جعل كل فرد موريتاني قابل لأن يعيش بمفرده، إذا ســـلم من هيمنة المتغلب من عشـيره، في رقعة لا يزاحمه فيها غيره لأنها لا تسـمح بذلك، نتيجة قلة مقومات الحياة فيها، بوجود أكثر من عائلة في تلك الرقعة وعلى أســـاس هذا تكونت هويته الأنانية التي لا تكترث بســـوى مصلحتها وفي حيز جغرافي محدود وحيث ترعى الماشية أو يزرع ما سمحت به التربة من زراعة.

ولأن كانت هذه الحالة موجودة في النسبة الأكبر من مساحة البلاد، وحيث يهيمن المناخ الصحراوي الذي رأينا أنه يشـغل نسـبة تفوق 70% من تلك المسـاحة، فإنها لا تشـمل كل المسـاحة بل يسـتثنى منها الجنوب وحيث يتحكم المناخ الساحلي وتنخفض مظاهر السطح وبناء عليه تتسع رقعة المراعي والمزارع، كما يستثنى منها الغرب المطل على الماء وما انعكس به ذلك على الهواء وظروف العيش لوجود شاطئ غني بالأسماك أنتج هوية لها ما يميزها عن هويات الأقاليم الأخرى.

وهذا ما يســـمح بالقول إن العوامل الطبيعية التي تحكمت في توزيع الســـكان داخل المجال، حيث جعلت مجموعة منهم تعيش حالة تكيف قاســـية مع الطبيعة وأخرى تعيش أقل عناء من ذلك، نتج عنها تباين في الطباع رغم العامل المشترك للهوية الموريتانية والذي ربما لم يكن للطبيعة دور كبير فيه إلا من باب تعقيد حدوثه ما خلق نوعا من التفاوت في التحلي به وهو العامل الديني، فهل بعد قيام الدولة الوطنية وما تقتضيه من ضرورة العيش المشترك والشعور بالمصير الواحد أصبحت لنا مقومات الهوية الواحدة التي تتغلب على العوائق الطبيعية وما تحول به دون ذلك؟.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر.

- ✓ . ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ب. ت. ن.
- ✓ . آرسطو: **السياسة مع مقدمة في علم السياسة من الثورة الفرنسية حتى العصر الحاضر** للبروفسور بارتلمي سانتهيلير، ترجمة أحمد لطفي منشورات الجمل، 2009.
- ✓ . الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

- ✓ . العمري(شهاب الدين أحمد بن فضل الله): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق عبد الله بن يحيى السريحي، المجمع الثقافي . أبو ظبي، 2003.
- ✓ . الوزان (الحسن بن محمد المعروف بلين الإفريقي): **وصف إفريقيا، ترجمة** محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ط2،1983.

ثانيا: المراجع.

- ❖ . ابن حامد (المختار): **حياة موريتانيا الجغرافيا**، معهد الدراسات الإفريقية، دار الغرب الإسلامي . الرباط 1994.
- ❖ . علي باري (محمد فاضل) وكريدية (سعيد إبراهيم): **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 2007.
- ❖ . فيرون (ريمون): **الصحراء الكبرى**، ترجمة جمال الديني الديناصوري، مراجعة نصري شكري، مؤسسة سجل العرب،1963.
- ❖ . ولد الحسين (الناني): **صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ /11م**، دار المدار الإسلامي، 2007.
- ❖ . ولد أيده (أحمد مولود): **مدن موريتانيا الوسيطة قراءة في التاريخ الحضري والتراث العمراني**، شهادة الدراسات المعمقة في الآثار والتراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية . تونس، 2001.
- ❖ . ولد بيه (محمد المحجوب): **موريتانيا جذور وجسور**، مكتبة القرنين21/15 للنشر والتوزيع،2016
- ❖ . ولد سيد الأمين ولد أحمد(الداه): **العذب الصافي من لذيذ القوافي ديوان الداه ولد سيد الأمين ولد أحمد الكنتي**، جمع وتحقيق ودراسة الأستاذ محمد إبراهيم ولد الداه، ب. ت.ن.، ب، م.ن.
- ❖ . ولد عبد الله: عبد الودود (ددود): **ديناميكية تشكل الهوية في فضاء بلاد شنقيط . أزواد**، مجلة مصادر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة انواكشوط، العدد 6، 2016 . 2017.
- ❖ . ولد محمد الهادي (إسلم): **موريتانيا عبر العصور**، ب. م.ن، ب، م.ن.
- ❖ .Vernet (Robert): **La Mauritanie avant l'Islam: néolithique et protohistoire**، The Maghreb review, Volume IX N° 5-6, 1984.